المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم

المفاهيم القرآنية من سورة الشمس

(والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها كذبت ثمود بطغو ها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقه الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها)

التعريف بالسورة:ـــــ

/١

هذه السوره مكيه باتفاق العلماء

/٢

عدت السوره رقم 26 من حيث ترتيب النزول فهي بعد سوره القدر

وقبل سوره البروج

/٣

وسميت الشمس بدون الواو في معظم التفاسير كما هو في

جامع الترمذي

والبعض ذكرها الشمس وضحها كما هو في صحيح البخاري لغرض

ان يفرق على غرض ان يفرق بينها وبين سوره التكوير

اولا

(الحكمه بالاقسام بالمحسوسات وأسباب تقديمها)

تضمنت السورة اطول قسم فى القرآن (والشمس وضحاها والقمر

اذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها

والارض وما طحاها ونفس وما سواها)

للتواصل إلى ذلك لابد أن ندرك مساله فى غايه الاهميه وهو أن

هذه السوره مع سوره الليل هما اخر سور القسم الاوسط من

المفصل حيث أن المفصل مقسم الى ثلاثه اقسام القسم الاول

من سورة (ق) وينتهى بسورة المرسلات **" القسم الأوسط يبدأ من سورة النباء وينتهى بسورة الليل **ثم القسم الأخير من الضحى الى الناس .

والقسم الأوسط هذا يبدأ بسورة النباء ..وقد قيل إن المقصود بالنباء القران وقيل اليوم الآخر وكلاهما فيه الخبر العظيم

ولهذا فانه بالنظر الى هذه السوره والبحث في دواعي الاقسام والمكان الذي نزلت فيه هو مكه وبتامل احوال وظروف المسلمين اثناء نزول السوره والمقسم به والمقسم عليه والمقسم له نتوصل الى الحكمه بالاقسام بـ المحسوسات واسباب تقديمها

حيث ونحن في تعاملاتنا نعلم ان غايه الحلف بالشيء انما يهدف الى تقديم شهاده على دعوه حينما لا يكون هنالك ثمه شاهد على ما يدعي به ومن هنا نفهم

الأمر الأول

ان المقسم عليه لا يكون الا من الامور الغائبه ولهذا فان الله لا يقسم الا على انباء الغيب او بنفس المقسم به الدال على وجود الخالق والوهيته وربوبيته وانفراده بالعبوديه وتوحيده وصدق الرسول والرساله والوعيد والوعد و الجنه والنار والعقاب والملائكه

وهذه الامور هي التي دعا الرسول صلى وسلم الناس للتصديق بها وهي من اهم الاغراض التي تناولتها السوره بجواب القسم

الأمر الثاني

ان الله يقسم بالافعال الظاهره مفعولات مثل الشمس والقمر والسماء والارض ومخلوقاته ولا يقسم عليها

الأمر الثالث

ا ان الله قد اخبر الناس عن الامور الغيبيه مثل اسماء وصفاته والجنه والنار والحساب والعقاب فدلهم على ما ينتظرهم والطريقه الموصل اليه واخبرهم بحقيقه هذا الانسان وضعفه وافتقاره وحاجته الى الله وامراض هذا الا نسان وعلاجه

وانه قد اصطفى لهم اطباء يحملون الادويه لامراض البشريه وهم الانبياء واعطاهم صوره تقريبيه لحقائق الغيب ليحصل لهم القوه التي يتوقف عليها كمال النفوس وسعادتها اي القوه العلميه النظريه والتي تليها بعد ذلك القوى ا لاراديه الطالب الطلبيه

الأمر الرابع

الاصل ان تقدم شهاده الله فيما يقول فهو عالم الغيب وهو الشهيد الاول في كل قضيه

وان المصدر الوحيد الموثوق به فى الاخبار عن أمور الغيب هم الانبياء لأنهم يتصلون بالله عن طريق الوحى

لان العقول البشريه عاجزه عن ادراك المسائل الغيبيه فغايه جهده البحث والمعرفه فيما هو متناول الحس حيث و العقول غير قادره على الخوض فيما غاب عنها

ولذلك فان هذه العقول تظل اذا غاب عنها منهج السماء وتختل المقاييس لديها فالعالم اليوم لا ينكر وجود الله ويعترف بكثير من المسائل الغيبيه لكن جوهر الخلاف بينهم هو في ذات الله اي من هو الله وما هي اسمائه وصفاته وكيف يكون الوصول اليه وما هو الخير وما هو الشر ولهذا نجد ان كل قوم يضع لنفسه نظريات عن الله و الجنه والنار والحلال والحرام والضار والنافع والحسن والقبيح فالهندوس مثلا يعبدون البقر ولديهم نظريه وفلسفه تقوم عليها عقيدتهم بهذا الخصوص وهى تختلف عن نظريه اليهود التى تقوم على التشبيه والتعطيل لصفات الخالق سبحانه وتعالى وكذلك نجد النصارى لهم

نظريه اخرى تقوم على فكره البنوه والثالوث ...وهكذا نجد المجوس وحتى المسلمين قد انقسموا إلى فرق وطوائف متعدده لها نظريات مختلفه تصل بعضها إلى ما يشبه فلسفه الهندوس وبعضها تأخذ شكل المغضوب عليهم وبعضها تأخذ شكل النصارى وكل فرقه تدعى أنها تمتلك الحقيقه وأنها على الحق ولهذا أمرنا الله أن نقول فى كل ركعه (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وحذرنا الله من الاختلاف والانقسام والزمنا بتزكيه النفوس بالمنهج حيث لو تأملنا إلى سبب هذا الاختلاف نجد أنه يعود إلى أن كل قوم صنعوا لانفسهم نظريات بعقولهم الارضيه فيما لا يملكون ادواته ومعلوماته ولم يحيط به علما فاصبحت ترى اصناما عديده تنتشر هنا وهناك تعبد من دون الله لان غايه جهد العقل محدوده في اكتشاف ما في الكون الفسيح من علوم للقيام بالخلافه

اما المساله الغيبيه والاحكام الشرعيه فلا وسيله لها الا

بالوحي فمن نظر فى التاريخ وجد ان سبب الاختلاف المذموم يعود الى الخروج عن ضوابط الشرع ومنهج الله الذى فيه الاهتداء

الأمر الخامس

ولما كان الحال والظروف التي نزلت في السوره بمكه والمسلمين في غايه الضعف وقد قابل المشركين ما دعهم للرسول صلى الله عليه وسلم من اصول الايمان السته بالانكار والتكذيب والطغيان والاستهزاء عن الحرب على الا سلام باثاره الشبهات بين العرب قاصدين النيل من الاسلام وصد الناس عن الايمان فقال تعالى

(عم يتساءلون عن نبا العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون)

فذكر حال الكفار وان تساولاتهم لغرض التشكيك وهناك من يتساءل لحاجه المعرفه فجاء الاقسام لاثبات وتوكيد وتوثيق صدق ما اخبرهم به من امور الغيب التي انكروها حيث نجد ان

الاغراض التي تناولتها السوره هي

الغرض الأول :-

اثبات وجود الله وانفراده بالالوهيه والربوبيه والعبوديه وكمال صفاته سبحانه وتعالى

وذلك لان المشركين كانوا يعترفون بربوبيته ولكنهم يرفضون القبول بشرعه وقالوا كيف نعبد الها واحدا لا نراه وبدون وساطه الاصنام

الغرض الثانى:-

إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم واثبات معجزته وبينته

وذكر طبيعه رساله الاسلام بانها للعالم اجمع وهي تتجاوز حدود الزمان والمكان

وان المعجزه هي عين المنهج اي القران فهو المعجزه التي تستوعب جميع العقول والاجناس واللغات

ولهذا فقد كانت المعجزه لها ثلاثه اوجه ١/بلاغي ٢/عقلي ومنطقي ٣ وايات كونيه علميه فهو معجزه الى ان تقوم الساعه وهو بنفس الوقت منهج تهذيب للنفس وتزكيه وبيان ما يرضي الله وما يغضبه

ومبينه ان المعجزهالحسيه الموضوعيه لم تعد لها جدوى فذكر فذكر الغرض من المنهج للتزكيه وذكره كمعجزه واشار لقوم ثمود لبيان عدم جدوى المعجزه الحسيه لقوله تعالى(وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الا

اولون واتينا ثمود الناقه مبصره

فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا) ولقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)

وهذا لان المشركين طالبوا المعجزه الماديه والخارقه وكذلك قالوا لماذا لم ينزل القران دفعه واحده مثل ما انزلت التوراه ولهذا جاء الاقسام ك مقدمه وتوطئه لابطال الشبهات التي اثارها الكفار

الغرض الثالث

التهديد والتحديد للمشركين من عذاب الاستيصال لهم ان استمروا في طغيانهم كما حصل بقوم ثمود فجاء القسم لتاكيد قدره الله عز وجل بانه لا يعجزه شيء وتذكرهم بما حل بقوم ثمود بذم احوالهم وبيان ان ملك الله ليس مثل ملك الملوك فهو لا يخاف العواقب كما هو حال ملوك الارض فالله ليس كمثله شيء

وفى ذلك بيان ان اساس الاعمال يقوم على الخوف والرجاء والمحبه والكراهيه محبه ما يرضي الله وكرهه ما يغضب الله

الغرض الرابع :ـ

بيان حاجه النفوس للمنهج الذي يحصل فيه كمال النفوس

وارشادهم الى الحق فقال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها) وذلك لان الكفار قالوا ما حاجتنا لمنهاج طالما لدينا عقول نعرف به الخير من الشر وبها نقيم المصنوعات والاختراعات ونعد القوانين التي تحقق رفاهيه الا نسان فنجد ان السوره تبين ان الله عز وجل خالق الانسان ونفس الانسان وافعالها هو مبدعها والعقول عاجزه عند غياب المناهج وتحقر وتصغولد وتصغر نفسها بالهوى وعاجزه عن عند غياب المنهاج عن معرفه الخير من الشر اذا لم تنضبط وفق منهج الله وضرب الله لذلك مثلا بقوم ثمود الذين اعطاهم الله المعجزه الواضحه لكنهم استحبوا العمى عندما سلموا قياده انفسهم للهوى فان النفس الاماره قادتهم الى ما فيها هلاكهم ولهذا نجد ان الله قدم الا قسام بالمحسوسات لتاكيد الخبر فاقسم بالشمس والقمر والسماء والارض ونفس الانسان لانها اعظم المخلوقات الداله على وجود الله والداله على انفراده والربوبيه والعبوديه سبحانه وتعالى اي استدل بالمصنوع على الصانع كما انه اقسم بمفعولانه الداله على كمال صفاته سبخانه وتعالى واقسم سبحانه وتعالى ايضا بالحوادث والحركات التي جعل نظام حركتها بدقه وانتظام لتاكيد ان له الخلق والامر لله فقال تعالى

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذايغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها)

ثانيا

وبالوقوف على مدلولات المحلوف المحلوف به المقسوم به والمقسوم عليه وتركيب الجمال والاساليب التي وردت بها النصوص والحقائق التي تعرضها والقضايا التي تعالجها والموضوعات التي تطرحها للنقاش نجد:ـ

الأمر الاول

انه سبحانه وتعالى اقسم بمفعولاته ومخلوقاته سبحانه الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض ونفس الا نسان في اطول قسم فقال تعالى (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء ومابناءها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)

/١

ابتدا سبحانه القسم بالظواهر والحوادث المشهوده الشمس والقمر والليل والنهار وقد الحق قد سبحانه وتعالى بكل ظاهرات افعالها واثارها(الشمس وضحاها .... والقمر وما تلاها .. والنهار اذا جلاها...والليل اذا يغشاها)

/٢

أن الضمير يعود على الشمس لعدم وجود فاصل يفصل بينهم ولم يذكر الفاعل

/٣

ثم عطف بالقسم بمخلوقاته السماء والارض ونفس الانسان دون ذكر افعالها ولكن بذكر فاعلها وهو سبحانه وتعالى وبهذا يكون أقسامه بمخلوقاته وبالخالق ...ومفعولاته واستدل بالمصنوع على الصانع واقسم بفعله الدال على كمال صفاته قدرته ومشيئته وحكمته علمه وتوحيده

الأمر الثانى

وبالنظر الى ترتيب المقسم به نجد انه سبحانه ابتدى بالشمس والقمر والليل والنهار مع ان الشمس عن السماء والا رض اعظم ايه منهم فلماذا قدم المفعولات والحوادث والظواهر بالقسم؟

المساله الاولى :ـ

ان الله قد جعل اياته اما ايات مرئيه كونيه ترى بالنظر واما ايات سمعيات تخبر عن افعاله النظريه الغيبيه القران ولهذا فان الله يقسم بنوعين من افعاله الظاهره المحسوسه التي يدركها جميع الناس وافعال النظريه التي يخطي فيها اهل الدنيا ويختلفون ولذلك اراد الله ان يبين للناس افعاله النظريه بشهاده افعال الظاهره المحسوسه بـ

البديهه

/٢

ولما كانت ايات الله كونيه مرئيه بالنظر وايات سمعيه تدرك بالتدبر والتفكير فالمعرفه لها مقدمتين عقليه حيث تكون المرئيه مقدمه انطلاق العقل بالنظر الى ايات الله الكونيه فالمشاهده تقوي البصر ويحصل اقتناع العقل ويكون ثمرات ذلك الايمان بيقين وبعدها يكون التدبر والتفكير في ايات الله سمعيه

المساله الثانيه

ولما كانت الايه المرئيه شاهده على صدق ما اخبره به الرسول عن ربه وتدل على صدق القران الكريم فانه يتطلب لرؤيه ذلك تقويه البصر الحس النظري وتقويه الباعث الحسي الداخلي القلب فهومحل الفهم واستقرار العلوم ولهذا نجد ان النصوص تتناول لفت الانتباه الى هذه الاهداف فنجد ان معاني الاوصاف التي اضيفت للشمس والقمر و الليل و النهار متعدده وهذا من مقاصد البيان لتؤدي وظيفتها بتحقيق الاهداف السابقه ويتضح ذلك من الاتي

المحور الاول

ان هذه الحوادث والظواهر امر يشهد الناس حدوثه كل يوم

ونجد انه تعالى ابتدى بالشمس فهي اكبر المحسوسات على الاطلاق فقال تعالى والشمس وضحاها حيث نجد ان حرف الواو استخدم لاضافه وضحاها واسم الشمس وحدها واضح الدلاله ولكن اضافه الوصف وضحاها وابرازها لها مدلولات تفهم من خلال ما ذكربمعنى ذلك وتنصب حول شهادتها على صدق ما اخبرهم به تعالى

كما الايه تبين اهميه توظيف الكلمه المتميزه القادره على قرع العقول والغوص فى اعماق النفس حتى تتحول الكلمه إلى وصفه سحريه تدفع العقل إلى التفكير ولهذا قيل انه تعالى ولهذا فان المقصود بالقسم انه تعالى اقسم بالشمس اذا اشرقت وقام سلطانها فضاف لها اله الزمان الضحى والذي مشتق من الضح وهو عندما ترتفع في الافاق وتصفو وتكون في متناول الناظرين فالنص قيد القسم باشراقها وارتفاعها فلم يقل ضحوه التي هي بدايه الاشراق ولم يقل ضحا قريبا من الزوال فاراد بذلك بيان

/١

أن يشاهد الناظر الطاف الله وإبداعه لان لابروزها ايه عجيبه من ايات الله فيها لطائف الله وابداعه فقد جعلها الله ايه يرى بها قدره الله وانعامه وجعلها في النهايه من احسانه وتعود الى الله

/٢

أراد أن يشاهد العبد عظمه الله وقدرته من خلال الاشاره الى حاله الكمال لها وشدتها وارتفاعها لان ذلك يدل

على قوه المؤثر وكماله

الوجه الثانى

تهدف الايه إلى لفت الانتباه لمشاهده جمال الله وجلاله وحسنه واحسانه ولهذا كان قيد القسم بالشمس باشراقها وضياءها وارتفاعها فأراد الحق أن تدرك أنه جعلها ايه عظيمه مرتبطه بمصالح الناس ومنافعهم فاراد بهذا الا حساس و الشعور من الناس بهذه النعمه فلم يقل ضياءها ونهارها وان كان الضحى يعم النهار كله فاراد بذلك لفت انتباه العباد الى الشعور بعطاء الله واحسانه لان الضحى مرتبط بالنور والحراره فاقسم بالشمس ونورها الساطع الذي ينير الكون بضوه ويبدد الظلام ويمدد الناس بالحراره وفيها

لفت الانتباه الى

١

النظر الى انعام الله بنعمه الضوء كم تعطي البشريه من طاقه ضوئيه تقدر بملايين الدورات تعجز البشر عن الاتيان بمثلها

٢

/ان الشمس تمد المخلوقات بالحراره اللازمه للحياه ويحتاج لها الانسان والحيوان وهي تنضج الثمرات ويحتاجها

/٣

النظر في تقدير الله للمقادير حيث جعل الشمس لها مجالات تتحرك فيها وجعل بينها وبين الارض مسافات لو نقصت لنتج عنها عدم صلاحيه الحياه فيها نتيجه البروده ولو زاد اقترابها من الارض لاحترق الكوكب فان هذه ا لايات شاهده بوحدانيه الله وربوبيته وعنايته بالمخلوقات وانه حكيم سبحانه وتعالى

/٤

ان ذلك الوقت يكون في كمال ضوء الشمس وشده حرارتها فكان ذلك مناسبا لمطالبه الحس بالنظر

/٥

غرس اليقظه في القلوب بالاقسام بالشمس بعد ان تناولت السوره قبلها ان الانسان مخلوق في كبد وانه اذا غاب عنه قوه المعرفه النظريه العلميه والقوه الى الطلبيه فان فانه يعيش في نكدفابتدات السوره بالشمس بان سراج الفلك اذا اشرقت بنورها فهى تمد القمر بالنور وكذلك فان سراج الانسان اذا اشرقت عقولهم بانوار المعرفه وعرفت

ربها واحكامه والطريقه الموصله إليه فان هذه الانوار لا يحصل انتفاع بها الا اذا اشرقت النفوس بانوار تلك المعرفه وتكونت الطاقه التى تدفعها للنمو والارتفاع

المحور الثاني

والقمر اذا تلاها) عطف الله القسم بالقمر وقيد تلوه حين يتلو الشمس والمعاني كلها متعلق بالحس والرؤيه وانه شاهدا على صدق ما اخبرهم الله به ويتضح من الاتي

الامر الاول

ان كلمه تلاها معناها يتبعها فالنصوص ترسم لنا لوحه الافلاك فجعلت الشمس في المقدمه وهو بعدها خلفها في عمليه الجيران بحركه مستمره كما قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) فهنا يخبرنا الله عز وجل ان القمر يجري بعد الشمس لكن وفق حساب دقيق فلا يدخل في نطاقها ولا تدخل في نطاقه فالنظام للحركه في غايه الدقه في حركه عجيبه تخبر عن ابداع الخالق سبحانه وتعالى وتؤكد صدق ما اخبرهم الله به في القران

الامر الثاني

انه يتبعها في الظهور فلا يكون ظهوره للناظرين الا بعد مغيب الشمس حيث انه عند شروق الشمس تظهر في الا فاق الاعلى فوق رؤوسنا ويكون مختفي في الافاق التحتاني تحت اقدامها وعند الغروب يظهر للناظرين

الأمر الثالث

انه يتبعها في الظهر عند غره الشهر فيكون الضحى كشباب الشمس بينما غره الهلال يمثل ولادته وكذلك يتبعها في الظهور في الليالي البيض حيث يقال لها هذا الزمان من زمن الضحى

الأمر الرابع

انه يتبعها بالضياء والقدر الوقت الثالث من اتبعاه من حيث المنافع والمصالح المرتبطه بالعباد حيث يعرف به بها عدد السنين والحساب وغيرها من المنافع

الامر الخامس

ان معنى يتبعها ياخذ منها فنحن نقول فلان يتبع فلان اذا اخذ منه علمه اثره و ا المقصود بذلك عمليه التكوير نتيجه حركه الارض حول نفسها وحركه الشمس حيث يكون ظهور الشمس في النصف الاول من الارض وهو غياب القمر عن هذه البقعه وفي الارض وعند عندما تغيب الشمس يظهر القمر في النصف الاخر في

ذلك الوقت يجلي النهار الشمس ويظهرها في النسبه الثانيه في االوقت الذي يغطي الليل الشمس في النصف الاول فذكر تعاقب الليل والنهار

الأمر الثالث

اضاف الحق سبحانه وتعالى لظرفي الزمان النهار والليل افعال التجليه والغشيان فقال(والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها)

والتجليه:-

هي الكشف والظهور والعيان

واما الغشيان:-

فتعني التغطيه واللبس

والمعلوم ان اضافه افعالا لظرف الزمان يكون المراد المقصود وصف الظرف فنقول الليل عصيب واليوم حار فهي توصف الشيء وتميزه عن غيره وان كانت الشمس مسببا لظهورها ومغيبها سببا لليل ولهذا قالوا ان المراد ان النهار يجلي الشمس فكان النهار يبرزها ويظهرها واستخدام مجازي وذلك لان مشاهده الشمس لا يكون الا بالنهار فنقول على من يتحدث كلاما غير معقول دور لك شمس بالليل و انه كلما كان النهار كاملا كانت الشمس اصدق ظهورا وبروزا

جعل النهار آله لظهور الشمس لبيان ان قوه الاثر وشدتها لا يدل عليه وانما هو دليل على المؤثر وكماله ومنهم من قال ان المقصود ان النهار يجلي الارض بضوئها فيزيل الظلمات

الامر الرابع

اقسم المولى سبحانه وتعالى بالليل حينما يغطي الشمس ويسترها بظلمته والليل ليس بمغطي حقيقي وانما المراد بالغشي القول انه مسبب زمني لبيان الحركات ذات التخصصات المتنوعه بانها بان لها الها واحد

الوجه الثاني

ان الله يخاطب العباد ان الاجسام لا تخلو من الحركه والسكون وبالتالي فهي حوادث ولهذا نجد انه تعالى ربط الحوادث بحركتها وسكونها واوقاتها فلنجد انه سبحانه ذكر الغشيان بصيغه المضارع للاشاره ان الازمنه عند الله متساويه وايضا لان الليل لا يكون ظهوره فجاه بل بالتدرج ومنهم من قال انها للفواصل اثنين كمان سبحانه وتعالى ذكر الفاعل وذلك لان وجود الفعل يدل على الفاعل ولان الشمس اكبر المحسوسات قدمها بالقسم فلم يفصل بين الضمير العائد عليها فاصل لذكرها واوصافها الاربعه فالحاصل ان االضوء اكبر المحسوسات بالمشاهده وارتباط مصالح الناس ومنافعهم فقال والضحى ولم يقول وضياءها ولا نورها وان كان الضحى يعم النهار كله فذلك لما فيه من منافع الانسان والحيوان فاراد الله ان يبرز للناس ر بوبيته و عناته بالالتفات الى احسانه فكم تمد الناس بالطاقه الضوئيه يعجز البشر ان يوفرها وتوفر لهم الملايين اضافه الى الحراره التي يحتاجها الانسان و الحيوان والنبات ونضوجها فقد جعل الله الشمس من اعظم الايات وعجائب ابداعه سبحانه وتعالى فاراد بهذا ان يحس الانسان برعايه الله وحسنه واحسانه

٢

كما اقسم الله بتلو القمر فهو بعد الشمس من حيث كبر الاجرام ومصالح العباد

/٣

ثم اقسم بظهورها لمجي النهار واختفائه لمجي الليل وفي هذه الصفات المتنوعه ذات الاختصاصات التي فرق الله بين الظواهر اثبات وحدانيته لان تصرفه في الكون بتلك الدقه يدل على الاتي

الامر الاول

انه واحد اله واحد فرد صمد لا شريك له فلو تعدت الالهه لما وجد هذا النظام الدقيق فلا ينكر الا حاقد مكابر معاندا وفاقد لعقله

الأمر الثاني

ان على العباد وهم يثبتون لله صفه الخلق والامر ان يبتعدوا عن التشبيه كان يقولوا اذا كان الكون كله محدث

ومخلوق خلقهم الله فيقولوا بمنطق العقول الارضيه بالتفكير بالتسلسل كان يقول البعض فمن خلق الله فان هذا من وسطه الشيطان فالله لا مثيل له ولا شبيه له وجميع الاسباب تعود اليه فهو الاول بلا بدايه وهو الاخر بلا نهايه ولهذا نجد انه سبحانه وتعالى يبين لنا الظواهر وحركاتها وسكونها واوقاتها مبينا ان لها بديه ونهايه لانها مخلوقات ومحدثات

الامر الثالث

انه سبحانه وتعالى يخبرنا انه ان من البديهيات ان المفعولات داله على الافعال والافعال داله على الفاعل وان ذلك يدل على صفات الفاعل فدلت المفعولات على وجوده تعالى وعلى كمال صفاته وارادته ومشيئته وحكمته وعلمه وتوحيده وهذه الحقائق يمكن ان تعرف بالبديهه بالاتي

المساله الاولى

ان وجود المفعولات وحركتها تدل ان لفاعلها اراده فالحوادث والحركات لابد لها من مريد فكل الحركات مبدوها هو الله عز وجل

المساله الثانيه

أن اصل الحركات تعود الى محبه الله فقد اوكل الله بالافلاك والشمس والقمر وكل الكون ملائكه يدبرون امورها ق ال تعالى (فالمدبرات امرا) وهم ينفذون امر الله ويطيعونه فاصل الحركات في العالم العلوي والسفلي تعود الى محبه الله

المساله الثالثه

انه تعالى لا يعجز شيء فهو عندما خلق المخلوقات ارادها وعلمها لان الصانع عندما يصنع الشيء فقد اراده وعلمه فلابد انه خلقه لحكمه ولهذا سبحانه وتعالى عطف اوصاف الشمس الاربعه القسم بذاته المقدسه واوصاف نفسه بث لاث اوصاف فقال تعالى (والسماء وما بناها والارض وما طحها ونفس وما سوها)فوصف نفسه بالقدره وانه مدبر حكيم وانه عدل اعطى لكل مخلوق من التركيب والبناء بمكوناته والخصائص ما يجعله قادرا على تحقيق الاهداف الواجب عليه تحقيقها حيث وبالوقوف على الايه نجد الاتى

اقسم بالسماء والارض وبالنفس ولم يذكر معها فعلا فذكر فاعلها

فقال(وما بناها..وما طحاها ...وما سواها)

ف(ما) هنا موصوله والتقدير الذى بناها الذى طحاها ...الذى سواها ..فالقسم بالمخلوق وفاعله بعكس ما قبلها كان القسم بالمخلوق وبفعله (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) وهذا يعود إلى حقيقه ان الشمس والقمر والليل والنهار ظواهر لها أفعال ظاهره فالايه تدعو إلى التفكر فى افعالها واثار حركتها لما فى ذلك من مظاهر دقه وانتظام حركته كما قال فى موضع آخر (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر وا لا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)وهذا فيه المنهج العقلي بالنظر إلى حركه هذه المخلوقات وافعالها الظاهره فلا يمكن للشمس أن تتجاوز حدود ها فى الحركه ولا القمر فلو لم يكن هناك مدبر حكيم ينظم سيرها لما وجد هذا النظام الدقيق فى حركه أفعال هذه المخلوقات فلو وجد خلل بسيط لحدث انهيار الكون فمن الذى ينظم الف الاجرام التى تتحرك فى الفلك فلا تتصادم ولا تتغير سرعتها ومن الذي نقلها تستمر في ادائها وافعالها طيله هذا الزمان دون ان تختل حركتهافهذا على وجود خالق حكيم دبر هذا القوم ويدل على كماله وعلى انه وحده لا شريك له وانه مستحق للعباده والطاعهفكان القسم بالشمس والقمر. و افعالها مناسبا اما السماء والأرض فليس لهما فعل ظاهرا يعظم فى النفوس ولهذا اقسم بهما والفاعل يدعو إلى النظر فى بناء السماء ومن إبداعها بهذا الجمال دون عمد ترونها فمن يمسك بها أن تزولا والارض من جعلها ومن جعلها جاهزه ومهيئه وصالحه لعيش الإنسان اليس الله عز وجل فهذه المخلوقات تدل على عظمه الخالق وعلى هيمنته على الكون وانه لا شك في وجوده كما ق ال تعالى(افي الله شك فاطر

السماوات والارض)

/٢

لم يقسم بفعل النفس لانها تفعل الفجور والبر فلا يصح القسم بفعلها هو سبحانه وتعالى لا يقسم الا بما هو معظم من مخلوقاته ولكن ذكر ضمير القسم انه خالق افعالها فيكون خالق أفعال الشمس والقمر والليل والنهار بطريقه اولى وهذا لان أفعال الانسان اختياريه وليس جبريه كما هو حال الشمس والقمر وبقيه المخلوقه فيتحرك حركه اجباريه ليس لها اختيار اما النفس فلها اختيار ولهذا لم يصح القسم بالنفس

الأمر الرابع

كما أننا نجد بعد القسم بالشمس والقمر والليل والنهار واثارها وافعالها والقسم بالسماء وبناها والا رض وطحوها ..جاء القسم بالنفس وخالقها والسؤال لماذا تاخر القسم بالنفس رغم أنها اشرف

المخلوقات

/١

لانها اخر المخلوقات التى خلقها الله ولان الكون كله اوجده الله لخدمه الإنسان كى يقوم بالخلافه على الأرض واختباره ولهذا بين أفعال العبد المنقسمه إلى التقوى والفجور وتقسيم الفاعلين إلى مفلح وخائب هذا التاخير لا جل أن يلفت انتباه العبد إلى انعام الله على هذا الإنسان فاراد ان يرى الانسان انعم الله عليه

فالله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان وكرمه بان سخر له هذا الكون وجعل هذا الكون يتحرك وفق قوانين ونواميس لخدمه الانسان الذي اختصه بخصائص ووظائف فقد اغدق عليه النعم وسخر له المخلوقات وهب له العقل الذي يميز به بين الخير والشر وزودوه بامكانيات فكريه وقدرات بدنيه ليكون خليفه الله في الارض يعمرها بالعمل الصالح بعكس الكون الذي هو مجبور لا اراده له وهذا يدل على عدل الله اذ مكن الانسان من اختيار الطريق فاخبرنا انه شات حكمته ان يكون للنفس البشريه قابليه التوجه للخير وقابليه التوجه للشر وهي تتميز بصفات وخصائص تتجلى بها ابداع قدره الله في خلقه فلنفس تلين وتقسوا وتفرح وتاسى وتصبر وتجزع وترتدع وتكابر وتحس وتتبلد وتامن وترهب وفيها دقائق واعماق ولا احوال وتقلبات فقال تعالى(ونفس وما سواها فهذا دل على عدله لان التسويات عن التعديل فبين انه عادل في تسويه النفس التي الهمها فجورها وتقواها وهذا فيه رد على من قالوا بتظليم الرب انه خلق العباد ثم خلق افعالهم ومع ذلك يعاقبهم على افعالهم فالله عز وجل يخبرنا ان الانسان هو سبب ما يحل به من عقاب فهو اذا امسك بزمام نفسه ووجهها الى طريق الخير فقد نال على السعاده والفلاح واذا اتبع نفسه هواها فقد خاب وخسر فقال تعالى(قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها) وذكر بعد ذلك عقوبه من كذب رسول الله وطغى وانه تعالى لا يخاف عاقبه انتقامهم ممن خالف وكذب رسوله ليبين ان من كذب بايات الله سوف ينتقم منه الله عز وجل فان العباد لن يبلغوا ضر الله فيضره ولن ينفعوه ولو أمن اهل الا رض كلهم

/٢

الايات تهدف إلى تزويد المؤمنين بمعرفه معجزه القران الكريم لما فيه من قوه خارقه فى تحرير الإنسان من عبودية الشهوات أو المخلوقات مثل الشمس والقمر والنجوم وغيرها من من الأصنام فكان الاقسام هنا لغرض تحرير الإنسان من جميع الأغلال والقيود واخضاعه لسلطان الله يجعله ينظر الى مفهوم لا اله الا الله الواحد القهار وهو يشاهد حركه الكون بهذه الدقه والانتظام فى حركته

مطلوب منك أن تقوم بتزكية نفسك بمنهج الله لتكون حركتك منضبطه مثل حركه الكون فقال تعالى (فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها) وهذا فيه تزوريد النفس بطاقه وتحدث التحول الوجدانى فى قلب المؤمن فلا يخاف المؤمن من جبروت الجبارين لانه يشعر أن الله تعالى معه وانالمعركه مع الباطل يقودها الله تعالى رب العالمين فلو استقرت هذه المعاني فى نفوسنا فلا ترهبنا قنابل امريكا الذكيه ولا النوويه فهى لاتصمد أمام قوه الله وقدرته المطلقه سبحانه وتعالى هكذا يكون المؤمن قويا بالله ولهذا ما تفصح عنه الآيات فى جواب القسم وختم السورة بقوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقه الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها)

ثالثا

(فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها كذبت ثمود بطغوها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقه الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها)

الأمر الأول

الرد على اهل الضلال فى القدر :ـ

البعض يكذب بالقدر وخلق أفعال العباد وهذا القول مدحوض بقوله تعالى (فالهمها فجورها وتقواها) فالايه فيها إثبات القدر بقوله (فالهمها) واثبات الفعل للعبد باضافه الفجور والتقوى الى نفس العبد أنها هى الفاجره والمتقيه واثبات للتفريق بين الحسن والقبيح والأمر والنهي فالضمير يعود إلى النفس وليس إلى الله كما زعم البعض اى افلح من زكاها الله وقد خاب من دسها الله فهذا مخالف للظاهر وبعيد عن نهج البيان الذى الف عليه القرآن إذا كان الاحسن أن يقال (قد أفلحت من زكاها الله وقد خابت من دساها)وهذا ضعيف (نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)

/٢

أن قوله بعد ذلك (قد افلح من زكاها)إثبات لفعل العبد والوعد والوعيد بفلاح من زكاها وخيبه من دساها وهذا فيه رد على من يكذب بالشرع والوعيد احتجاج بالقدر والزعم أن الإنسان مجبور

/٣

وتبين الايه المظهر الثالث من مظاهر الضلال بالقدر هو تظليم الرب بالادعاء انه انه يقدر أفعال ويجبرهم على فعل الذنب ثم يعاقبهم ولهذا يقول تعالى (ونفس وما سواها) والتسويه التعليم فبين انه عادل بتسويه النفس التي يلهمها بجورها وتقواها

الأمر الثانى

ماهو الإلهام :ـ

في اللغه الابداع في الافكار الخلاقه والفعل حاله او تصور يبعث على انشاء فكره غير عاديه فيها التوفيق الى الصواب هذا في مفهوم الناس فهو يقال فلان ملهم

ماهو الإلهام الالهى؛ـ

وقوه خارقه للطبيعه و تكون من الله يجعل الشخص يرغب بفعل وابداع امور هو يبعث في النفس طاقه وقوه للفعل

انواع الالهام

والهام انواع فالوحي نوع من انواع الالهام الذي يوحى الله به للانبياء وهنالك الهام بالغريزه كما قال تعالى(واوحى ربك الى النحل)والهام الله للمؤمنين الاولياء تجعلهم يتصرفون بما فيه اصابه الصواب في الاعمال والاقوال والتصرفات فحديث الشريف يقول اتقوا فراسه المؤمن)والهام المؤمن تجعله قادر على ان يفرق بين الضلال والهدى وما يلقي في الروح بطريق الفيض الالهي الذي يتفضل به على عباده

**

الالهام والهواجس

ان من اخطر الامور المتعلقه بمساله الالهام هو ان البعض قد انحرف في المسار وجعل من الالهام شريعه تحل محل منهج الله بدعوى المكاشفه وما حدث للعديد من الناس من العلماء جعلهم ينحرفون في الطريق بسبب هذه المساله فلم يستطيعوا ان يفرقوا بين الالهام والوسوسه اذ ان المعلوم ان الالهام للمؤمن الرباني يقابله وسوسه الشيطان ويقابله وحى الشيطان لاوليائه كما أخبرنا تعالى عن شياطين انهم يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولهذا فمساله الذوق والتذوق والمتعه والوجدان

ليست شريعه ذلك أن كل صاحب محبه له محبوب وذوق وجد فاذا لم يكن هنالك سلطان على هذا الدوق فان الانسان يظل لانه يتبع هواه لقول تعالى(ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى) ومن هنا فان الالهام لا يمكن ان يحل محل الشريعه ومحل الكتاب والسنه فالهام له ضابط ليست المساله فوضى فيجب ان يعرض كل الهام على شرع الله فما كان موافقا لكتاب الله وسنته كان هو الصواب وما كان مخالفا له رفض ولم يعمل به لان كل من خالف منهج الله يكون ضالا متبعا لهواه لقوله تعالى (وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فهذا عمر رضي الله عنه المشهود له بالالهام من الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله (انه قد كان من الامم قبلكم محدثون فان يكن من امتى منهم احد فعمر منهم)انتهى الحديث فإن عمر بن الخطاب لم يكن ياخذ برايه

وانما كان يعتصم بكتاب الله وسنه رسوله متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يقبل ما خالف منهج الله) لم يكن ياخذ برايه وانما كان يعتصم بكتاب الله وسنه رسوله برغم ان الله عز وجل قد وافقه في اكثر الاحكام فلا يوجد هنالك ملهم بافضل من عمر فاذا كان الامر كذلك فلابد للعبد ان يلتزم بمنهج الله فليست المساله فوضى فإن للملك لمه وان للشيطان لمه وما ينبغي على العبد ان يحذره فلا يكون الالهام غرضا لكسر اصل شرعي وانتهاك حد من حدود الله فذلك ليس الهام وانما من وساوس الشيطان وهو ما يجب الحذر منه

كيف يلهم الله العبد ؟

يجب على العبد ان يعرف ان الالهام بدون مجهود مجرد حلم

فلابد ان تبذل مجهود تتقرب به الى الله حتى يحب الله سبحانه وتعالى العبد ويقربه اليه لحديث ابي هريره في صحيح البخاري بالحديث القدسي لايزال ا العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده االتي يبطش بها وفي روايه فمن يسمع بي ويبصر بي ويبطش بي ويمشي بي

ولهذا فالطريق للالهام يتطلب ان تبديل جهد وان تجتهد فالطريق للالهام يتطلب الصمود والتحدي وموجهات المصائب حتى تصل الى هذا الهدف يتطلب ان تنشا علاقه بينك وبين الله عز وجل كما قال شيخ الاسلام ان على العبد أن يتقرب الي الله ويدعوه ويستعين به فانه ان استجاب له فهو يلهمه الدعاء ليكون سببا للخير واصلا للتوفيق وقال ابن القيم ان الدعاء هو مفتاح الالهام والتوفيق فاذا اعطى العبد هذا المفتاح نال الخير والتوفيق وا لالهام واذا حرم منه لم يناله

الأمر الثالث

عليك أن تدرك أن الله عز وجل يقابل كل فعل برده فعل منه فالانسان عندما يجاهد نفسه لاجل الوصول لهدايه الله فان الله يوفقه واما الذي يزيغ عن الطريق فان الله ييسر له سبل الضلال ولهذا يقول تعالى (قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها)فالزكاه التزكيه في اللغه ماخوذه من زكاء يزكوا زكاء اى نماء وطهر فالتزكيه هي النمو و الطهاره والبركه وزكاه المال سميت بذلك رجاء البركه وتزكيه النفس اى تطهيرها من الشح أو كلاهما جميعا

والتدسيه ضد التزكيه واصلها الاخفاء لقوله تعالى ام يدسوا في التراب لماذا

ذلك ان الانسان مخلوق من جسد ارضي تراب وروح سماوي ولهذا فان الانسان مثل ما يحتاج الى غذاء لجسده يحتاج الى غذاء روحي ومن هنا يجد الانسان حاجه الى تزكيه النفس وتطهيرها والتنميه وتكبيرها بالاتصال بمصدر الروح ب‌الله عز وجل وهذا يتطلب تطهير النفس واما من اخلد الى الارض فهذا هو الذي دسها اي جعلها حقيره دليله خسيسه لانه لم ينظر الى الاعلى وانما ينظر الى الارض فاصل الخير كله بتوفيق الله مشيئته شرف النفس لها وكبرها

واصل الشر خسه االنفس ودناتها وصغرها فمن كبرها ونمها بطاعه الله فقد افلح ومن صغرها وحقره بالمعاصي لقد خاب لان النفس الشريفه لا ترضى من الاشياء الا باعلها وافضلها واحمدها عاقبه والنفوس الدنيئه تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على القذورات كما يقول ابن القيم

التقوى هو اساس ضبط النوازع الحب والغضب فيكون الانسان محبا لما احب الله ومبغضا لما يبغض الله لا ان يتبع هواه ولهذا يقدم لنا الله عز وجل نموذجا من نماذج الخيبه التي ينتهي بها من يدسي نفسه فيحجبها عن طريق الهدايه انه قوم ثمود الذين هداهم الله واعطاهم معجزه ظاهره العيان فما الذي حصل لهؤلاء القوم لقد تركوا الحق رغم وضوحه واتبعوا الشهوات والملذات فاجتمعوا على مخالفه منهج الله وكان ذلك سببا لعذاب الله الذي اهلكهم به فقال تعالى كذب الثمود بطاواها اذ انبعث عشقها فقال لهم رسول الله ناقه الله وسقياها فكذبوا فعقلوها فدمدم عليهم ربهم)فكلمه دمدمه توحي الى شده الخوف شده ما وراء العذاب لانه عند الله عز وجل هو لا يخاف العواقب لان ملك الله غير ملك البشر فملك البشر ينظر الى العواقب لكن الله عز وجل اذا اراد الانتقام لا ينظر العاقب لان كل شيء بيده

انتهت مفاهيم وتوجيهات ورسائل سورة الشمس